تقول قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا من الناس من يقول
انه عام دخله التخصيص ومنهم من انكر ذلك اما الاولون فقالوا دخله التخصيص من
وجهين الاول انه رسول الى الناس اذا كانوا من جملة المكلفين فاذا لم يكونوا من
المكلفين لم يكن رسولا اليهم وذلك لانه عليه السلام قال رفع القلم عن ثلاث عن
الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق والثاني
انه رسول الى كل من وصله خبر وجوده وخبر معجزاته وشرايعه حتى يمكنه
عند ذلك متابعته اما لو قدرنا حصول قوم في طرف من اطراف الارض لم
يبلغهم خبره وخبر معجزاته وشرايعه حتى لا يمكنهم عند ذلك متابعته فلا
يكونوا مكلفين بالاقرار بنبوته وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني
ومات ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار رواه مسلم ومفهومه
انه ان لم يسمع به صلى الله عليه وسلم ولم تبلغه دعوة الاسلام فهو معذور على ما تقرر
في الاصول انه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح وفي هذا الحديث نسخ الملل كلها
برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين
لكم على فترة من الرسل الاية خاطب تعالى اهل الكتاب من اليهود والنصارى
بانه قد ارسل اليهم رسوله محمدا خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ولا رسول بل
هو المعقب لجميعهم وكذا قال تعالى على فترة من الرسل اي بعد مدة متطاولة
ما بين ارساله وعيسى ابن مريم وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة كم هي فقال
المهدي وقتادة في رواية عنه ستمائة سنة ورواه البخاري عن سلمان الفارسي
وعن قتادة خمسمائة وستون سنة وقال الضحاك اربع مائة وبضع وثلاثون
سنة وعن الشعبي فيما ذكره ابن عساكر تسع مائة وثلاثة وثلاثون سنة قال
الحافظ عماد الدين ابن كثير والمشهور انها ستمائة سنة قال وكانت هي الفترة بين عيسى
ابن مريم اخر انبياء بني اسرائيل وبين محمد اخر النبيين من بني ادم على الاطلاق
كما في البخاري من حديث ابي هريرة مرفوعا انا اولى الناس بابن مريم لانه ليس
بيني وبينه نبي وهذا فيه رد على من زعم انه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد
كما حكاه القضاعي وغيره والمقصود ان الله بعث محمدا على فترة من الرسل
وطموس من السبل وتغيير الاديان وكثرة عبادة الاوثان والنيران والصلبان
فكانت النعمة به اتم والنفع به اعم وفي حديث عند الامام احمد مرفوعا ان
الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عجمهم وعربهم الا بقايا من بني اسرائيل وفي لفظ
مسلم من اهل الكتاب فكان الدين قد التبس على اهل الارض كلهم حتى بعث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهدى به الخلائق واخرجهم الله به من الظلمات

الى

الى النور وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغراء صلوات الله وسلامه عليه
وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم اي عزيز عليه ما
عنتكم اي التحكم بالشرك والمعاصي حريص عليكم قال الحسن البصري عزيز عليه ان
تدخلوا النار حريص عليكم ان تدخلوا الجنة ومن حرصه صلى الله عليه وسلم علينا
انه لما خاطبنا بما يريد ابلاغه الينا وفهمنا اياه على قدر منزلته بل على قدر منزلتنا
والى هذا اشار صاحب البردة بقوله

لم يحتجبنا بما تعيي العقول به ... حرصا علينا فما نرتاب ولم نهم

اي لم نحتجب ولم نشك فيما القاه الينا قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
كالرحمة مع التكليف لا بغيره ومن حرصه عليه السلام على هداية الناس انه ضرب
المثل بالمحسوس ليحصل الفهم وهذا سنة القرآن ومن يتبع الكتاب والسنة اي
من ذلك العجب العجاب ولما ساوى سبحانه وتعالى بين الناس في حرص رسوله
عليه السلام على اسلامهم حرص المؤمنين برأفته ورحمته لهم وقال تعالى من انفسكم
ولم يقل من ارواحكم فقيل يحتمل ان يكون مراده منا حسد له المنفس لا بروحه
المقدس ويرجح الله القائل

اذا رمت مدح المصطفى فتهابه ... تبلد ذهني هيبة لمقامه
فاقطع ليلي سابح الحفن مسطرفا ... هو افيه احلاكن لذ بنامه
اذا قال فيه الله جل جلاله ... روقتهم في سياق كلامه
فمن ذا يجاري الوحي والوحي معجز ... تخلفه نثره ونظامه

تنبيه واما قول القاضي عياض بعد ذكره الاية ثم وصفه بعد بارسا
حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هداياتهم ورشدهم واسلامهم
وشدة ما يعنتهم ونصرهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه فهو وان كان الفصل
منه صحيحا انفيظاهر وشي لانه يوهم ان قوله وشدة ما يعنتهم معطوف متعلق
المصدر الذي هو الحرص فيكون مخفوضا وما يقوي هذا التوهم قوة اعطا الكلام
ان الضمير الاول من قوله وعزته عليهم عايد على الناس والضمير الثاني عايد على الله عز وجل كما ينفي الشدة الا ان تكون معطوفة
على متعلق المصدر فلا يخفى ما في هذا وقد تاولته بعض العلما على حذف مضاف
اي وكراهة شدة ما يعنتهم او نحو ذلك من المضافات والاولى والصواب
ان شا الله ان تكون الشدة معطوفة على نفس المصدر الذي هو الحرص ويكون
قوله وعزته معطوفة على وشدة والضمير فيه راجع الى الموصول وهو ما في
قوله ما يعنتهم والها الثانية في عليه عايدة على النبي صلى الله عليه وسلم انتهى
وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يجوز ان يكون رحمة مفعولا

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)